الباب الأول

قـــراءة القـــرآن

قال تعالى: ﴿ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴾ [المزمل: ٤] أى اقرأه بطمأنينة غير متعجل فى تدبر معانيه وأعط كل حرف حقه ومستحقه. وعندما سئلت أم سلمة عن قراءة رسول الله ﷺ إذا هي تنعتها بالقراءة المفسرة حرفًا، حرفًا [١] أي يفسر الحروف فلا تختلط على السامع.

وسئل أنس بن مالك ﷺ عن كيفية قراءة النبى ﷺ فقال: «كانت قراءته مداً. ثم قرأ بسم الله الرحمن الرحيم يمد ببسم الله، ويمد بالرحمن، ويمد بالرحيم».

وقد تلقى صحابة رسول الله ﷺ قراءتهم من الرسول مباشرة عن طريق المشافهة ثم تلقى التابعون عن الصحابة رضوان الله عليهم ثم تابعو التابعين وهكذا تمضى سلسلة المشافهة من جيل إلى جيل ومن مقرىء إلى قارىء مع تحرى القارىء أن يتلقى من الماهرين المجودين المتقنين وكان السلف يشترطون فى ذلك اتصال السند إلى النبى ﷺ لأن هذا العلم سنة متبعة يأخذها اللاحق عن السابق وكان ﷺ يعرض القرآن على جبريل فى كل عام مرة فى رمضان، وفى السنة التى توفى فيها عرضه مرتين.

وقد تسابق صحابة رسول الله ﷺ ينهلون من نبع القرآن علماً وعملاً وحفظاً وترتيلاً. وتميز منهم نفر ممن أتقنوا فن التلاوة حتى صاروا أعلامًا فيها فاحتضنهم رسول الله ﷺ ووالاهم بالعناية والرعاية ولمعت من بينهم أسماء بعينها وتعاهدهم يسمعهم قراءته ويطلب منهم أحياناً أن يسمع منهم وأغلبنا يعلم أنه صلوات الله عليه وآله وسلامه طلب من عبد الله بن مسعود – كما جاء فى الحديث الصحيح – أن يقرأ عليه فقرأ حتى بلغ قوله تعالى: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴾ [النساء: ٤١] قال حسبك، فالتفت فإذا به ﷺ تذرف عيناه. (متفق عليه).

---

(١) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي ،وأخرجه أبو داود .

كما ثبت أن النبي ﷺ سمع عبد الله بن مسعود يقرأ في صلاته فقال: «من سره أن يقرأ القرآن غضًا كما أنزل فليقرأه على قراءة ابن أم معبد» [١].

وعن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ لأبي بن كعب: «إن الله أمرني أن أقرأ عليك» قال: ءآلله سماني لك؟ قال: «الله سماك لي»، قال أنس: فجعل أُبي يبكي» [٢].

فكان أبي بن كعب، وعبد الله بن مسعود من تلك الكوكبة من الصحابة ومن طلائع القراء الذين تعهدهم رسول الله.

قال ﷺ: «خذوا القرآن من أربعة: من عبد الله بن مسعود، وسالم، ومعاذ، وأبي بن كعب» [٣]. ومن هذه الكوكبة أيضا: زيد بن ثابت، وعلى بن أبي موسي الأشعري ومعاذ بن جبل.

نستنتج من حرص رسول الله ﷺ على تلقي القرآن من أناس بعينهم أن لهم تميزا في طريقة قراءتهم عن غيرهم. كما نستنتج أن لقراءة القرآن هيئة وصفة يستحب اتباعها كما يكره مخالفتها أو الانحراف عنها. «وصفة القراءة هذه التي اصطلحوا على تسميتها بعد ذلك «بالتجويد» تحتوي على لهجات العرب الفصحي، وطريقتهم في النطق. وهذا من مقتضي كون القرآن عربيا فهو عربي في لفظه ومعناه، وأسلوبه، وتركيبه، ولهجته، وطريقة النطق به، ولذلك تجد كثيرًا من مباحث التجويد والقراءة في علم «اللغة و«النحو»، فهي مباحث مشتركة بين الطرفين» [٤].

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾ [البقرة: ١٢١] يقول الإمام الغزالي «وتلاوة القرآن حق تلاوته هو أن يشترك فيه اللسان والعقل والقلب، فحظ اللسان تصحيح الحروف بالترتيل وحظ العقل الائتمار. فاللسان «يرتل»، والعقل «يترجم»،

---

(١) رواه البزار والطبراني وفيه عاصم بن أبي النجود وهو على ضعفه حسن الحديث، وبقية رجال أحمد رجال الصحيح ورجال الطبراني رجال الصحيح – انظر مجمع الزوائد للهيثمي ج ٩ ص ٢٨٧.

(٢) رواه مسلم «كتاب صلاة المسافرين: وقصرها» باب استحباب قراءة القرآن على أهل الفضل ح رقم ٧٩٩.

(٣) صحيح البخاري « كتاب فضائل القرآن « باب القراء من أصحاب النبي ، كتاب المناقب ، باب مناقب أبي بن كعب ، صحيح مسلم « كتاب فضائل الصحابة ، وسنن النسائي كتاب المناقب .

(٤) قواعد التجويد ، أبو عاصم عبد الفتاح القاري ، ط. ١٩٥٦

والقلب «يتعظ» [١].

فضل تلاوة القرآن :

لا شك أنه ما من مسلم قد أتيح له أن يستوعب ما جاء بالكتاب والسنة بشأن فضل القرآن الكريم وفضل تلاوته والانشغال به والعمل بما جاء فيه، وما وعد الله به أهل القرآن من الدرجات العلى فى جنات النعيم، إلا وتاقت نفسه إلى دراسته، وإجادة تلاوته، ومحاولة حفظه وتعاهده بالاسترجاع حتي لا يتفلت من صدره ولا يتسع المقام هنا لسرد الكثير مما جاء بالكتاب والسنة في هذا الشأن ولكننا نكتفي من كل بستان بزهرة أو بضع زهرات:

فمما ورد بالكتاب في هذا الشأن:

١- **قال تعالى** : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾ ﴾ [فاطر: ٢٩، ٣٠]

٢- **قال تعالي**: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ ﴾ [الإسراء:٨٢]

٣-**وقال تعالي**: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾ ﴾ [ص: ٢٩].

٤- ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [الحشر: ٢١] .

٥- ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الزمر: ٢٣] .

---

(١) إحياء علوم الدين ، ج٣ ، ص ١٣١ ، ط ١٩٥٦.

و مما جاء فى أحاديث رسول الله ﷺ :

١- روى أبو داود والترمذي بإسنادهما عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله - ﷺ -: «يقال لصاحب القرآن اقرأ وارتق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا ، فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها» (١) .

٢- و عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «إن لله أهلين من الناس» **قالوا:** من هم يا رسول الله ؟: **قال:** «أهل القرآن هم أهل الله وخاصته» (٢).

٣- وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار ، ورجل آتاه الله مالاً فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار » **(متفق عليه)** (٣).

٤- عن ابن عباس رضي الله عنهما قال رسول الله ﷺ : «أحب الأعمال إلى الله تعالى الحالّ المرتحل, **قالوا: وما الحالّ المرتحل ؟، قال:** «صاحب القرآن يضرب من أوله لآخره، كلما حلّ ارتحل» (٤) .

٥- عن ابن معاذ بن أنس أن النبي ﷺ قال: «من قرأ القرآن وعمل بما فيه ألبس الله والديه تاجاً يوم القيامة ضوؤه أحسن من ضوء الشمس في بيوت الدنيا , فما ظنكم بالذى عمل بهذا» (٥).

والحديث لم يحدد مكانة من عمل بهذا وإنما اكتفي بتحديد منزلة والديه في صورة تشتهيها

---

(١)رواه أبو داود « كتاب الصلاة» باب استحباب الترتيل في القراءة ، والترمذي الذبائح أبواب فضائل القرآن / صحيح ابن حبان « كتاب الرقائق» باب قراءة القرآن ، قالواحديث صحيح حسن.

(٢)أخرجه الإمام أحمد "كتاب فضائل القرآن" ، وسُنن الدارمي ، "كتاب فضائل القرآن" باب فضل من قرأ القرآن ، سُنن ابن ماجه "المقدمة" باب فضل من تعلم القرآن وعلمه/ لطائف الإشارات للعسقلاني ج١ ، ص١١ ،الفتح الرباني ح١٨، ص٧.

(٣)صحيح مسلم " كتاب صلاة المسافرين وقصرها " باب فضل من يقوم بالقرآن / سُنن ابن ماجه " كتاب الزهد" باب الحسد / صحيح ابن حبان / ورواه أحمد بإسناده عن ابن عمر رضي الله عنهما . متفق عليه .

(٤)رواه الترمذي " الجامع الصحيح" الذبائح أبواب القراءات عن رسول الله ﷺ ، والدارمي " كتاب فضائل القرآن" ، والمستدرك على الصحيحين وله فيه ألفاظ أخرى / الجامع لأحكام القرآن ١/ ٣٠ .

(٥)رواه أبو داود بإسناده عن معاذ " كتاب الصلاة " باب في ثواب قراءة القرآن ح ١٤٥٣/ المستدرك للحاكم "كتاب فضائل القرآن / مسند أحمد / مسند المكيّين .

OBEIKAN.COM

كل نفس أما صاحب هذا العمل فقد ترك لخيال السامعين أن يحلق كما يشاء ، فلا حدود لعطاء الله لمن طلب رضاه وسار على نهج القرآن الكريم.

٦- روى مسلم بسنده من حديث عمر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواما ويضع به آخرين» (١).

٧- روى مسلم بسنده عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ : «ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده» (٢).

٨- عن عائشة ﷺ قالت: قال رسول الله ﷺ : «الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران» (٣) .

وأخيرًا نختتم هذه الباقة العطرة من أحاديث سيد المرسلين بما رواه عثمان بن عفان ﷺ أنه قال : قال رسول الله ﷺ : «خيركم من تعلم القرآن وعلمه» (أخرجه البخاري) (٤).

وها هو حديث رسول الله ﷺ قد أوضح معالم الطريق لمن أراد أن يكون خير الناس فبيَّن أن عليه أن يتعلم القرآن أولا تلاوة ودراسة وفهما مع العمل بما فيه من أحكام، والالتزام بما فيه من أوامر ونواه، فهذا هو نصف الطريق، فإذا أتم الله نعمته وفضله عليه ومكنه من القيام بتعليم القرآن لغيره فقد أكمل المسيرة وهنيئا له إذا أخلص نيته لله وحده غير ناظر لصيت أو سمعة أو شهرة.

---

(١)صحيح مسلم ح ٥١٧ " كتاب صلاة المسافرين وقصرها " باب فضل من يقوم بالقرآن / مسند أحمد كتاب فضائل القرآن ح ٢٣٤ / سُنن ابن ماجه " المقدمة" باب فضل من تعلم القرآن وعلمه .

(٢)صحيح مسلم " باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن " ح رقم ٢٦٩٩/ سُنن أبي داود " كتاب الصلاة" باب في ثواب قراءة القرآن / الترمذي كتاب القراءات/ ابن حبان " كتاب الرقائق " / شعب الإيمان للبيهقي / فصل في فضل العلم وشرف مقداره .

(٣)أخرجه مسلم في صحيحه " كتاب صلاة المسافرين وقصرها " باب فضل الماهر بالقرآن/ سُنن ابن ماجه "باب ثواب القرآن/ صحيح ابن حبان" باب قراءة القرآن .

(٤)صحيح البخاري "كتاب فضائل القرآن " باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه ح ٥٠٢٧/ سُنن أبي داود " باب في ثواب قراءة القرآن / سُنن الترمذي باب ما جاء في تعليم القرآن / سُنن الدارمي / مسند أحمد .

OBEIKAN.COM

آداب تلاوة القرآن:

١- إخلاص النية لله وحده.

٢- أن يكون القارئ ظاهراً نظيف الثوب والبدن.

٣- أن يستقبل القبلة إن لم يكن هناك ما يعوقه عن ذلك.

٤- الإعداد النفسي والذهني والتهيئة لاستحضار عظمة الله وجلاله وعظمة الكلام الذي سيتلوه.

٥- حبذا لو استاك أو نظف فمه لأنه سوف ينطق بكلام الله سبحانه وتعالى وسوف يجرى الكلام فيه ليخرج من مخارج حروفه، فالأوْلى أن يكون الفم ذا رائحة زكية إن أمكن ذلك.

٦- وإذا كان حظ اللسان من التلاوة تصحيح الحروف بالتلاوة، وحظ العقل تفسير المعاني، وحظ القلب الاتعاظ والتأثر، فينبني على ذلك أنه إذا جلس المؤمن للتلاوة حاضر بعقله، وقلبه، ولسانه فقد صدق مع نفسه، ومع الله، ومع كلام الله. وإذا كان أمر المؤمن كذلك، فلابد أن عقله سوف يتدبر ما يتلوه من آيات الله، فإذا تدبر العقل، استشعر المؤمن من خلال الآيات فتحا من الله وقبولاً ، فلا يكتفي بما يبدو من ظاهر الكلام، وإنما يستشعر قلبه معاني خفية، هي نفحات من عند الرحمن لعبده الذي أقبل عليه وقد ألقي خلف ظهره كل أمور دنياه، وخلص لمولاه وحده. ومع هذا الحضور بالنفس، والعقل، والقلب سوف يشعر بقرب الله تعالي منه، ويحس أنه في حضرته،فإذا تلا أمرا من أوامره، أو نهيا من نواهيه خضعت نفسه منصاعة، وقالت سمعا وطاعة. وإذا تلا من كلام الله آية وعيد وَجِلَ قلبه وظن أنه هالك لا محالة فيتوب، وإذا كانت آية وعد استبشر خيرا واطمأن قلبه، فإذا مر بذكر النار تعوذ منها ومن عذابها، واذا جاء ذكر الجنة انشرح صدره واشتاقت نفسه إليها وألح في طلبها.

٧- أن ينتقي لنفسه مكانا بمعزل عن كل ما يلهيه ويصرفه عن الاندماج في معاني الآيات (كالمذياع والتلفاز والأماكن التي تعج بالضوضاء وأهل اللغو والفراغ).

OBEIKAN.COM

٨- أن يزين قراءته ويحسن صوته بها وإن لم يكن حسن الصوت حسّنه ما استطاع.

فالقراءة السليمة المجودة المتقنة إذا زانها صوت حسن ندىّ كانت فضلا من الله ومنة على من قرأ ومن سمع، وصرف الله إليها الجن والملائكة يستمعون لها، وصغت لها أسماع المؤمنين وقلوبهم، وما من دليل على ذلك أبلغ من تأثر الرسول الكريم نفسه بالأصوات الحسنة وتأثيرها على نفسه ويقينه بمدى تأثيرها على النفوس لذا نراه حين أقر صيغة الأذان لأول مرة فى الإسلام لم يكلف من حدثه بها أن يؤذن بل أمره أن يذهب إلى بلال فيعلمه إياها لأنه أندى منه صوتًا.

وقد قال ﷺ: «زينوا القرآن بأصواتكم»[١]. ومن قوله أيضا: «ما أذن الله لشئ ما أذن لنبى حسن الصوت يتغنى بالقرآن»[٢]. ولقد سمع عبد الله بن مسعود يقرأ فى صلاته فقال: «من سره أن يقرأ القرآن غضًا كما أنزل فليقرأه على قراءة ابن أم معبد» فقد كان عبد الله ابن مسعود ﷺ مشهورا بحسن الصوت وجودة الترتيل ودقة الأداء حتى أن الرسول نفسه طلب منه أن يقرأ عليه القرآن عندما أحب أن يسمعه من غيره. ولا ننسى أن نذكر قول رسول الله ﷺ وهو يعبر بأسلوب فى منتهى البلاغة عن مدى إعجابه بصوت أبى موسى الأشعري عندما قابله فقال له: «لو رأيتنى وأنا أسمع قراءتك البارحة!!، لقد أوتيت مزمارًا من مزامير داود». فقال أبو موسى: لو علمت أنك تسمع قراءتي لحبرتها لك تحبيرًا»[٣]، أى لجودتها وحسنتها وزينتها لك تزيينا.

على أنه ينبغى للقارئ أن يضع نصب عينيه حدًا فارقًا جليًا بين ماهو تزيين وتحسين للصوت قصد به أن يكون جواز مرور يفتح آذان السامعين ويسمح للمعانى القرآنية أن تتجاوز عتبات أسماعهم لتنفذ إلى أعماق قلوبهم ومداركهم وعقولهم، وبين ماهو ترنم وتنغيم.

---

(١) سُنن أبي داود.

(٢) رواه البخاري "كتاب فضائل القرآن" باب من لم يتغن بالقرآن / ومسند أحمد "كتاب فضائل القرآن" باب من لم يتغن بالقرآن. كما روى بألفاظ أخرى.

(٣) رواه مسلم في الصحيح عن داود بن رشيد/ وأخرجه البخاري من وجه آخر عن أبي برده مختصرًا السُنن الكبرى للبيهقي "كتاب الشهادات" باب تحسين الصوت بالقرآن والذكر.

٩- التوقف عن القراءة عند التثاؤب ثم الاستئناف بعده.

١٠- أن ينهي قراءته بتصديق ربه (أي قوله: صدق الله العظيم) وأن يشهد لرسوله بإبلاغ الرسالة فيقول: (وصدق رسوله الكريم بلغ الرسالة ونحن على ذلك من الشاهدين).

الأحرف السبعة :

روي ابن عباس ﷺ عن النبي ﷺ قال: «أقرأني جبريل على حرف، فراجعته فلم أزل أستزيده ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف» [١].

فكانت استزادة الرسول ﷺ طلبًا للتوسعة على أمة المسلمين وتخفيفا عنها، ورحمة بها.

وروي البخاري عن عمر بن الخطاب ﷺ قال: سمعت هشاما يقرأ سورة (الفرقان) في حياة النبي فاستمعت لقراءته فإذا هو يقرأ على حروف لم يقرئنيها رسول الله ﷺ فكدت أساوره [٢] في الصلاة، فتصبرت حتي سلم فلببته [٣] بردائه فقلت: من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأ؟ فقال أقرأنيها رسول الله ﷺ فقلت كذبت فإن رسول الله قد أقرأنيها على غير ما قرأت.

فانطلقت به أقوده إلي رسول الله ﷺ فقلت: إني سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على حروف لم تُقْرِئْنيها. فقال رسول الله ﷺ: «أرسله. اقرأ يا هشام» فقرأ عليه القراءة التي سمعته يقرأ، فقال رسول الله ﷺ: «كذلك أنزلت» ثم قال: «اقرأ يا عمر» فقرأت القراءة التي أقرأني فقال رسول الله ﷺ: «كذلك أنزلت». إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرءوا ما تيسر منه) [٤].

وقد اختلف في المراد بالأحرف السبعة اختلافا بينًا فرجح بعضهم أن تكون الأحرف السبعة لغات القبائل وقيل إن المراد بها معاني الأحكام القرآنية كالمحكم والمتشابه والحلال والحرام، والإنشاء والخبر والأمثال.

---

(١) رواه البخاري، كتاب فضائل القرآن / باب أنزل القرآن على سبعة أحرف.

(٢) "أساوره" أبطش به، أو آخذ برأسه، أو أواثبه.

(٣) أي: جمعت ثيابه عند نحره وجررته منها، أو ضربت لَبَّتَهُ أي "موضع القلادة".

(٤) رواه البخاري، كتاب فضائل القرآن / باب أنزل القرآن على سبعة أحرف.

OBEIKAN.COM

وهناك أقوال أخري مختلفة تناولها ابن الجزري بالتفنيد والمراجعة ثم رفضها محتجا بأن صحابة رسول الله ﷺ لما ترافعوا إليه كان ترافعهم واختلافهم فيما يختص بحروف القرآن، ولم يختلفوا في تفسيره، ولا أحكامه ولا معانيه ، لذا يميل المحققون من العلماء إلي ترجيح مذهب الإمام أبي الفضل الرازي حيث يرى أن المراد بالأحرف السبعة: الأوجه التي يقع بها «التغاير والاختلاف» وهي لا تخرج عن سبعة».

أوجه التغاير والاختلاف السبعة:

١ - اختلاف الأسماء: في الإفراد والتثنية والجمع والتذكير والتأنيث. فالاختلاف في الإفراد والجمع في نحو قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ [البقرة: ١٨٤].

قرئ بالإفراد (مسكين) وقرئ (مساكين) بالجمع.

والاختلاف في التثنية والجمع نحو قوله تعالى: ﴿فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات: ١٠]، قرئ بالتثنية وقرئ (إخوتكم) بالجمع.

والاختلاف في التذكير والتأنيث نحو قوله تعالى: ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ﴾ قرئ بياء التذكير، وقرئ (تقبل) بتاء التأنيث [البقرة: ٤٨].

٢ - اختلاف تصريف الأفعال: من ماض ومضارع وأمر نحو قوله تعالى: ﴿فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾ [البقرة: ١٨٤] قرئ الفعل هكذا (تطوع) على أنه فعل ماض وقرئ (يطّوّعْ) على أنه فعل مضارع مجزوم.

ونحوقوله تعالي: ﴿ قَالَ رَبِّى يَعْلَمُ ٱلْقَوْلَ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأنبياء: ٤] قرئ (قال) على أنه فعل ماض، وقرئ (قل) على أنه فعل أمر.

٣ - اختلاف وجوه الإعراب: نحو قوله تعالى: ﴿وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ﴾ [البقرة: ١١٩]، قرىء بضم التاء ورفع اللام على أن (لا) نافية وقرئ بفتح التاء وجزم اللام هكذا (تَسألْ) على أن (لا) ناهية.

٤- الاختلاف بالنقص أو الزيادة: نحو قوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ [آل عمران: ١٣٣] بإثبات الواو قبل السين وقرئ (سارعوا) بحذف الواو.

٥- الاختلاف بالتقديم والتأخير: نحو قوله تعالى: ﴿وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ﴾ [آل عمران: ١٩٥] قرئ هكذا بتقديم (و قُتِلوا) وتأخير (و قَاتَلوا).

٦- الاختلاف بالإبدال أى جعل حرف مكان حرف آخر: كقوله تعالى: ﴿هُنَالِكَ تَبۡلُواْ كُلُّ نَفۡسٖ مَّآ أَسۡلَفَتۡ﴾ [يونس: ٣٠] قرئ هكذا بتاء مفتوحة فباء ساكنة وقرئ بتاءين الأولى مفتوحة والثانية ساكنة (تَتْلوا).

٧- الاختلاف فى الهجاء: كالفتح والإمالة والإظهار، والإدغام والتسهيل، والتحقيق، والتفخيم، والترقيق، وهكذا يدخل بين هذا النوع الكلمات التى اختلفت فيها لغة القبائل نحو (خطوات) تقرأ بتحريك الطاء بالضم، وتقرأ بتسكينها، ونحو (بيوت) تقرأ بضم الباء وتقرأ بكسرها [(١)].

حكمة إنزال القرآن على سبعة أحرف:

١- اختلاف ألسنة العرب ولهجاتهم بحيث لو كلفهم الله تعالى لهجة واحدة لشق عليهم ذلك ونلاحظ مثل ذلك فى عصرنا هذا إذ تختلف لهجات الشعب الواحد بين أهالى شمال البلاد وأهالى الجنوب وبين أهالى السواحل وأهالى وسط البلاد.

فمن رحمة الله تعالى أنه يسر على هذه الأمة حفظ كتابه وتلاوته فأذن لنبيه أن يقرئ أمته القرآن على سبعة أحرف، فكان النبى يقرئ كل قبيلة بما يوافق لغتها.

٢- ويرى البعض أنه فى إنزال القرآن الكريم على سبعة أحرف دليل على صدق رسالة النبى ﷺ حيث ينطق القرآن بهذه الأحرف السبعة وتلك اللهجات المتعددة وهو النبى الأمى الذى لا يعرف سوى لهجة قريش.

---

(١) من كتاب "الشيخان"، طه حسين ص ٩٧، من الكتاب الأول - بتصرف.

OBEIKAN.COM

جمع القرآن:

لا شك أن البعض منا قد سأل نفسه ذات يوم وهو يتناول بين يديه كتاب الله العزيز (المصحف الشريف) بغلافه الفاخر وطباعته الرائعة: «ترى كيف كانت هيئة هذا الكتاب على عهد الرسول ﷺ ؟ هل كان كتاباً يشبه ما نراه بين أيدينا اليوم ؟ وكيف حفظه الله، وحوفظ عليه حتى وصل إلى أيدينا في عهدنا هذا؟ ، وإذا كان هذا التساؤل قد طاف بخواطر الكثيرين منا ممن لم تتح لهم الفرصة لمعرفة تاريخ تدوين ما يسمى «بالمصحف العثماني» فها نحن نحاول أن نجيب عن ذلك التساؤل في غير إسهاب.

تدوين المصحف العثماني:

حينما بُعث الرسول ﷺ بمكة ودخل في الإسلام بعضٌ ممن عرفوا الكتابة من الصحابة، كان رسول الله ﷺ ، يدعوهم لكتابة ما نزل من القرآن أولاً بأول، وكان كل واحد منهم يحتفظ بما كتبه في مكان يأمن فيه على ما كتب من الضياع.

ولما لم تكن الكتابة على الورق أمرا ميسورا لكل من أراد الكتابة كما هو الحال اليوم، لذا فقد لجأ العرب في ذلك الوقت إلى الكتابة على (العسيب) وهو جريدة النخل العريضة. وكتبوا على (الكتف) وهو العظم العريض خلف منكب الحيوان. وكتبوا على (الرقعة) وهي القطعة من الجلد أو الورق وكتبوا على اللوح وهو الصفحة العريضة من الخشب. وكتبوا على أضلاع الحيوانات (كالإبل والنوق).

وأذن الله لرسوله ﷺ بالهجرة إلى المدينة فزاد اهتمامه بكتابة الوحي، وعمل على محو أمية الكثير من المسلمين، وجعل فدية الأسير لفك رقبته أن يعلم عشرة من المسلمين فزاد عدد كتاب الوحي فلم يتم نزول القرآن حتى كانوا أكثر من أربعين كاتبا من بينهم عدد غير قليل من حفظة القرآن فلما تولى أبو بكر الخلافة وأرسل الجيوش لمحاربة المرتدين استشهد عدد من أصحاب رسول الله ﷺ ، وفي حرب «مسيلمة» استشهد عدد آخر أكبر، وكان من بينهم نحو سبعين من حفظة القرآن. فأشار عمر رضي الله عنه على أبي بكر أن يجمع القرآن حتى لا يتعرض نص من

نصوصه للضياع باستشهاد القراء منهم وأصحاب النبى ﷺ . وتردد أبو بكر فى قبول ذلك الرأي لأنه كان يتحرج من أن يفعل شيئا لم يفعله الرسول وهو جمع القرآن. ولكن عمر مازال به حتى أقنعه فدعا أبو بكر «زيد بن ثابت» رحمه الله، وكان شابا قويا صبورا عاقلا من كتّاب الوحي وقد شهد العرضة الأخيرة للقرآن في حياة النبي ﷺ فكلفه أن يتتبع القرآن فيجمعه.

وتردد زيد كما تردد أبو بكر،لأن النبي لم يفعل ذلك، ولكن أبا بكر وعمر رضي الله عنهما أقنعاه بما في ذلك من خير للإسلام والمسلمين، وجعل يتتبع القرآن يجمعه من صدور الرجال، وبالرغم من حفظه للقرآن لم يكن يقبل من رجل نصاً من نصوصه إلا إذا وجده عند رجل آخر من أصحاب النبى وقيل لم يقبل شيئاً من أحد إلا أن يأتى معه بشهيدين، مستبعداً كل ما ليس بقرآن من أحاديث قدسية أو تفسير أو تأويل وما نسخت تلاوته من القرآن. ومستبعداً من القرآن رواية الآحاد. فلما أتم جمعه من ألواح الحجارة والجلود وأكتاف الإبل وعسب النخل، وكان ذلك فى عهد أبى بكر أو فى أيام عمر – على اختلاف فى ذلك – «اكتمل بذلك أول مصحف» كتب فيه القرآن الكريم «كاملاً» «مرتب السور والآيات» بما يتفق والعرضة الأخيرة وظل أول المصاحف هذا عند أبى بكر (إن كان قد اكتمل جمعه فى عهده). ثم صار بعد ذلك إلى عمر، أو ظل عند عمر (إن كان قد اكتمل جمعه فى عهده) حتى استشهد عمر رضي الله عنه فكانت نهاية المطاف عند «حفصة أم المؤمنين رضي الله عنها ».

الفرق بين: «جمع القرآن» و «نسخ المصاحف»:

لما تولى عثمان الخلافة وخشى اختلاف الناس بالأمصار فى قراءة القرآن عزم على «نسخ المصاحف»، وإرسالها إلى المدن الكبرى، فطلب هذا المصحف من حفصة ليعتمد عليه القائمون بالنسخ، وكان زيد بن ثابت من الذين شاركوا فى ذلك أيضاً.

ومن الناس من يظن أن جمع القرآن أيام أبى بكر أريد به منع اختلاف الناس فى القراءة، وهذا خطأ، فالمصحف الذى جمع لم يكن مرجعاً معروضاً لعامة المسلمين، وإنما أريد به حفظ نصوص القرآن من أن تذهب بموت الذين يحفظونه فى صدورهم، أو يحتفظون بها مكتوبة

عندهم فأما المصحف الذى أريد به منع اختلاف الناس فى القراءة فهو الذى أرسله عثمان ﷺ إلى الأمصار والذى سمى (بالمصحف الإمام) أي الذي يقتدي به عامة المسلمين. فقد أشار حذيفة بن اليمان على عثمان ﷺ أن يدرك هذه الأمة قبل أن تختلف على كتابها كما اختلفت اليهود والنصارى نتيجة لكثرة الاختلاف فى وجوه القراءة.

واستشار عثمان أعلام الصحابة وذوى الرأى، فأجمعوا على أن يأمر بنسخ عدد من المصاحف يرسل واحداً منها إلى كل مصر من الأمصار ليكون مرجعهم عند الاختلاف، وحرق ما عداها من المصاحف. عندئذ أرسل عثمان ﷺ إلى أم المؤمنين حفصة يطلب منها ما كانت تحتفظ به من الصحف التى سبق أن كتبها زيد بن ثابت ﷺ فكلف عثمان «زيد بن ثابت» و«عبد الله بن الزبير» و«سعيد بن العاص»، و«عبد الرحمن بن الحارث بن هشام» بنسخ هذه الصحف عدة نسخ ثم أرسل إلى كل مصر من الأمصار نسخة وأمر بحرق ما عداها.

منشأ القراءات:

أراد عثمان ﷺ أن يوحد المسلمين على مصحف واحد يُرسم بطريقة تتلاءم مع الحروف السبعة التى نزل بها القرآن، وما لا يحتمله الرسم كتبه فى نسخة بقراءة، وفى الأخرى بقراءة أخرى، ولم يكرره فى النسخة الواحدة لدفع توهم التكرار، فإن لكل منهما وجهاً من غير تكرار ولم يكتب أحدهما فى الأصل، والثانى فى الحاشية لأن فى ذلك ترجيحا بلا مرجح، ولدفع توهم أن تكون الكلمة فى الأصل غير صحيحة والتى فى الحاشية هى تصحيح لها.

وقد ذهب جمهور العلماء إلى أن المصاحف العثمانية بمجموعها متضمنة برسمها ما ثبت من القراءات المتواترة فى العرضة الأخيرة محتملة للأحرف السبعة وأرسل مع كل نسخة إماماً عدلاً ضابطاً.

فأمر زيد بن ثابت ﷺ أن يُقرئ بالمصحف المدنى، وأرسل عبد الله بن السائب مع المصحف المكى، والمغيرة بن أبى شهاب المخزومى مع الشامى، وأبا عبد الرحمن السلمى مع المصحف الكوفى، وعامر بن عبد القيس مع المصحف البصرى.

OBEIKAN.COM

وقد أرسل عثمان ﷺ جماعة من قراء الصحابة يعلمون الناس القراءة بالتلقين وقد تغايرت قراءاتهم بتغاير رواياتهم. كما أن المصاحف العثمانية لم تكن ملزمة بقراءة معينة دون الأخرى لخلوها من النقط والتشكيل، بحيث تحتمل عند التلقين الوجوه المروية.

وقد تمسك أهل كل مصر من الأمصار بما تلقوه سماعاً من الصحابى الذى أقرأهم، وتركوا ما عداه، وكان هذا منشأ القراءات وظهور الخلاف.

وبعد فترة من الزمن مضى جيل الصحابيين، وقام مقامهم جيل التابعين، ثم تفرغ جماعة «للقراءة والإقراء» حتى صاروا أئمة يقتدى بهم وتعتمد رواياتهم فنسبت القراءة إليهم»[١].

فلما كان القرن الرابع اشتهر الحافظ أبو بكر البغدادى وهو أول من أفرد القراءات السبعة فى كتاب واختار فيه أشهر سبعة من أئمة القراءة فى عصره.

القراءات المتواترة:

وهي عبارة عن اختلاف الكيفيات في تلاوة اللفظ القرآني المنزل على سيدنا محمد ﷺ، ونسبتها إلي قائليها المتصل سندهم برسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، ولزيادة الإيضاح يجب معرفة المصطلحات الآتية[٢]:

١ - القراءة: و يريدون بها الاختيار المنسوب لإمام من الأئمة العشرة بكيفية القراءة للفظ القرآني على ما تلقاه مشافهة متصلا سنده برسول الله ﷺ، فيقولون مثلا: قراءة عاصم، قراءة نافع. وهكذا.

٢ - الرواية: و يريدون بها ما نسب لمن روي عن إمام من الأئمة العشرة من كيفية قراءته للفظ القرآني، وبيان ذلك أن لكل من أئمة القراءة راويين، اختار كل منهما رواية عن ذلك الإمام في إطار قراءاته، قد عُرِفَ بها ذلك الراوي ونسبت إليه فيقال مثلا: رواية حفص عن عاصم، ورواية ورش عن نافع..... وهكذا.

---

(١) بغية عباد الى حمن، محمد شحادة الغول، ص ٣١،٣٣.

(٢) غاية المريد في علم التجويد، عطية قابل نصر. ص ٢٤.

٣- الطريق: و هو ما نسب للناقل عن الراوي وإن سفل كما يقولون هذه رواية ورش من طريق الأزرق.

أركان القراءة الصحيحة:

لما كان القرآن العظيم إنما يتلقي بالمشافهة فيرويه جيل من أعيان القراء الضابطين عن شيوخهم ويتسلسل السند إلي النبي ﷺ كان أول شرط من شروط صحة القراءة تواتر سندها إلى الرسول ﷺ .

ولكي لا يقع القارئ فيما اتفق الصحابة على إطراحه وتركه من الأحرف السبعة ويخرج على إجماعهم فإنهم اشترطوا أيضا موافقة القراءة لخط المصاحف العثمانية ورسمها ولو تقديرًا... فإذا لم يحتملها الرسم اعتبرت القراءة شاذة وإن صح سندها، فلا يقرأ بها القرآن. وبعضهم يزيد شرطا ثالثا هو أن توافق القراءة وجها من العربية. فإذا تأملت هذه الشروط، فاعلم أن كل قراءة تعرض عليها فإن توفرت فيها فهي صحيحة ثابتة عن النبي ﷺ ،وهي مما تضمنه مصحف عثمان وأجمع عليه الصحابة، فيقرأ بها القرآن بلا خلاف، ولا يجوز إنكارها أو ردها.

ومن هذا يتبين لك أنه لا تحديد في الأصل لعدد القراءات أوأعيان القراء الذين يقرأ بروايتهم،ولذلك كان كثير من علماء أعيان السلف يقرأ بقراءات تثبت عندهم من غير طريق هؤلاء السبعة المشهورين فابن جرير الطبري رحمه الله روى في كتابه واحدًا وعشرين قراءة وكذلك فعل أبو عبيد القاسم بن سلام في كتابه (القراءات) واسماعيل بن اسحاق القاضي - صاحب قالون - وغيرهم.

يقول مكي بن أبي طالب القيسي في كتابه (الإنابة): «وقد ذكر الناس من الأئمة في كتبهم أكثر من سبعين ممن هو أعلى رتبة، وأجل قدرا من هؤلاء السبعة» [1].

أما القراء السبعة فكان أول من اختارهم واقتصر عليهم في كتابه أبو بكر بن مجاهد في القرن الرابع الهجري ولذلك يوصف بأنه (مسبع السبعة) بقصد التيسير على الأمة وهم:

---

(١) قواعد التجويد ، أبو عاصم بن عبد الفتاح القارئ ، ص٧ .

١- نافع ويكني (أبا رويم) توفي بالمدينة وروي عنه قالون وورش.

٢- (عبد الله بن كثير) الداري (إمام أهل مكة) وروي عنه قنبل والبزي.

٣- (أبو عمرو بن العلاء) ابن عمار التميمي البصري وروي عنه (الدوري) و(السوسي).

٤- (عبد الله بن عامر) إمام أهل الشام وروي عنه (هشام) و(ابن ذكوان).

٥- (عاصم بن أبي النجود) تأتي ترجمته مستقلة.

٦- (حمزة بن حبيب الزيات) وأشهر رواته (خلف) و(خلاد).

٧- (الكسائي) إمام الكوفة بعد حمزة. (أشهر رواته) أبو الحرث الليث.

وزاد ابن الجزري في (نشره) و(درته) ثلاثة قراء هم: (أبو جعفر) و(يعقوب) و(خلف).

ترجمة الإمام عاصم:

اسمه: عاصم بن أبي النجود الأسدي، ويقال (ابن بهدلة).

مكانته: شيخ الإقراء بالكوفة، وأحد القراء السبعة وكان من التابعين الأجلاء.

إسناده: إسناد عاصم في القراءة ليس بينه وبين رسول الله ﷺ سوي رجلين.

فقد قرأ القرآن على أبي عبد الرحمن السلمي عن علي رضي الله عنه، وقرأ على زر بن حبيش. عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، وكان يتردد عليهما، فيأخذ من هذا قراءة ابن مسعود. ومن ذاك قراءة علي، وهكذا استوثق في القراءة، وجمع فيها بين أقوي المصادر.

قال عنه أبو اسحق السبيعي: ما رأيت أحدا أقرأ للقرآن من عاصم وروي عبد الله بن أحمد بن حنبل أنه قال: سألت أبي أي القراءة أحب إليك؟ فقال: قراءة أهل المدينة، فإن لم يكن فقراءة عاصم.

وقد أثني عليه الأئمة وقدموه في القراءة وجعلوا قراءته في مقدمة القراءات المتواترة، وتلقوا روايته بالقبول. وكان رحمه الله إلى جانب علمه بالقراءة عالما بالسُنّة، لغويًا، نحويًا،

فقهيًا، وكان رجلاً صالحًا خيرًا ثقة.

روي عنه القراءة كثيرون عد منهم الذهبي: حفص بن سليمان، وأبا بكر شعبة بن عباس، والمفضل بن محمد الضّبّي، والأعمش، ونعيم بن ميسرة... وهؤلاء قرءوا عليه القرآن.

وفاته: قيل توفي رحمه الله سنة سبع وعشرين ومائة هجرية (وفي قول آخر مائة وعشرين من الهجرة) جزاه الله عن الأمة خير الجزاء.

ترجمة الإمام حفص :

هو حفص بن سليمان بن المغيرة الأسدي الغاضري (قبيلة من بني أسد) البزاز الكوفي المعروف بحفيص وكنيته «أبو عمر»، ولد سنة ٩٠ هـ وتوفي سنة ١٨٠ هـ.

كان ربيب عاصم (ابن زوجته)، وكان أعلم أصحابه بقراءته أخذ القراءة عنه تلقينا.

ثناء العلماء عليه: أما في القراءة فيعدونه مقدمًا على أبي بكر بن عباس (شعبة) وهو الراوي الآخر عن عاصم. فهو أكثر حفظًا وإتقانًا، ولذلك اشتهرت روايته وتلقاها الأئمة بالقبول.

يقول الحافظ الذهبي: وكان الأولون يعدونه في الحفظ فوق أبي بكر بن عباس ويصفونه بضبط الحروف التي قرأ بها على عاصم.

و قال يحيي بن معين: الرواية الصحيحة التي رويت عن عاصم رواية «حفص بن سليمان» و ليس بغريب على حفص فقد قرأ على عاصم مرارًا. وقد كان رحمه الله متخصصًا بالقراءة متقنًا لها، ولم يكن شأنه كذلك في الحديث...

قال الذهبي في ميزان الاعتدال: كان ثبتا في القراءة، واهيا في الحديث، لأنه كان يتقن القرآن ويجوده، ولا يتقن الحديث، وإلا فهو في نفسه صادق.

وشهد له الشاطبي بقوله: .

..... « وحفص وبالإتقان كان مفضلا»

OBEIKAN.COM

نزل رحمه الله ببغداد فأقرأ بها، وجاور في مكة فأقرأ بها، وكما سبق أن بينا، فقد قرأ القرآن على إمامه عاصم (زوج أمه)، وقرأ عاصم بالرواية التي أقرأها لحفص على أبي عبد الرحمن السلمي، عن علي ﷺ، عن رسول الله ﷺ كما قرأ عاصم بالرواية التي أقرأها لشعبة على زر بن حبيش، عن عبد الله بن مسعود ﷺ.

و روى عن حفص رواة كثيرون منهم:

حسين بن محمد المروزي، وحمزة بن قاسم الأحوال، وسليمان بن داود الزهراني... وكثيرون غيرهم. غفر الله لهم جميعًا.

OBEIKAN.COM